

الاتجاهات الاجتماعية الحديثة

لحضره صاحب المعالي الدكتور محمد حسين هيكل

وزير المعارف والشؤون الاجتماعية^(١)

سيداتي ، سادتي :

اليوم تفتتح الجامعة الأمريكية موسم محاضراتها لهذا العام ، وقد دعاني مستر كلياند رئيس قسم الخدمة العامة بها لألقي هذه الكلمة ، وإني لسعيد بتلبية هذه للدعوة الكريمة ، شاكر الجامعة الأمريكية أن 'تاحت لي فرصة الوقوف بينكم ، والتحدث إليكم من فوق هذا المنبر الذي ضانا حدثت جمهور المستمعين منه في مناسبات مخففة وأنا أعظم سعادة لأن صديق الأستاذ محمد العشماوي بك نائب الرئيس لرابطة الإصلاح الاجتماعي ، والقائم فعلا بكل أعمال الرابطة ، سيكون أول محاضر في هذا الموسم ، وسيختطبك من بعدي في هذا الاجتماع. وكلمتي عن الاتجاهات الاجتماعية الحديثة قصيرة وإن كان موضوع هذه الاتجاهات فسيحاً ، بدليل أن المحاضرات التي ستلي في هذا الموسم تشمل كلها بهذا الموضوع أوثق الانصاف . بل إن السياسة العامة في عصرنا الحديث إنما هي سياسة اجتماعية أكثر منها أي شيء آخر . فقد أصبحت العناية بالفرد من يوم مولده إلى ختام حياته موضع العناية الكبرى في كل مجتمع إنساني ، وأصبح مستوى العيش ، ومستوى الأخلاق ، ومستوى الثقافة ، ومستوى الصحة العامة ، مما تعني به كل أمة من الأمم وكل حكومة من الحكومات على ما قد يكون بينها من اختلافات في نظم الحكم ، ومن تباين في تصوير أغراض الحياة والعناية بمستوى العيش والأخلاق والثقافة والصحة العامة تزداد كل يوم عن اليوم الذي سبقه — لأن الناس في الأمم كلها يزدادون شهواً بانصافاً من الاجتماع الذي يربط بينهم — فيزيد ذلك تقديمهم لمعانى العدالة الاجتماعية سموً وجلالاً .

وهذا اتجاه جديد كان الناس يتحدثون عنه في القرن الماضي وفي أوائل هذا القرن على أنه حيال يدور بخلد الأتقين ، لا على أنه واقع احتلظ بالعقائد العنصرية وصار بعض ما ينظمه القانون .

نعم ، أيها السادة ، فقد كان الاتجاه في القرن الماضي وفي أوائل هذا القرن متأثراً بمبادئ الفردية الاقتصادية أشد التأثير مما يمكن لفرد على الجماعة من الحقوق إلا أن تهمي حريته الفردية من الاعتداء عليها ، وبذلك كانت وظيفة الحكومة مقصورة على المحافظة على الأمن

(١) الكلمة التي أفتتح بها له يومه موسم المحاضرات الاجتماعية لهذا العام .

والنظام أما فيما وراء ذلك فقد كان كل فرد متروكا لحظه ولم يكن له على الحكومة أى حق خاص أو عام فإذا تحركت قلوب المحسنين نشوة البؤساء ، فأو أن يمدوا إليهم يد المنعونة كان ذلك إحساسا منهم يشكرون عليه ولم يكن حقا عليهم أو على غيرهم يطالبون به . وفي حدود هذه الحرية الفردية المطلقة كانت علاقات الناس في حياتهم قائمة على التعاقد الحرفيا بينهم ولم يكن أحد يفكر في أن هذا التعاقد يصبح مشوبا إذا عتمد بين قوى وضعيف أو بين قادر وعاجز ، بل كانت هذه الحرية المضطربة معتبرة ملاك النظام القويم يومئذ وقد ترتب على النظام أن ترك ملايين من الناس لا يتعلمون ولا يعنى بصحتهم . ولا بتقافتهم ولا بأخلاقهم . إلا بقدر ما تتحرك قلوب المحسنين على بعضهم .

وقد حركت مظاهر الشقوة والبؤس التي فشت بسبب هذا النظام كثيرين من كتّاب التصوير ما يرون من ذلك والتمسوا العلاج له علاجا اجتماعيا عاما ، وكان تعمى التعليم في مرحلته الأولى أول ما عنت بعض الحكومات به في النصف الثاني من القرن الماضي . وأقول بعض الحكومات لأن أكثر الحكومات لم تتحرك في هذا الاتجاه إلا في "آخر ذلك القرن وبقي بعضها لا يتحرك نحوه إلا متأخرا .

هذا الاتجاه الذي ساد القرن الأخير وأوائل هذا القرن قد تغير الآن تغيرا تاما . والحرب الكبرى 'مناضية' فضل كبير في تغييره . فقد قزبت تلك الحرب بين الشعوب ، ودرر طبقت المخنفة في الشعب الواحد ، وقد نشأت بسببها اختراعات كثيرة ، زادت شعوب قريبا بعضها من بعض بما يسرت من أسباب الاتصال والانتقال . هذا إلى أن ما حدث من ازدياد الصناعات الكبرى صحامة قد ربط بين أرباب هذه الصناعات والعمال فيها ، وجعلهم أكثر شعورا بما بينهم من تضامن يجعلهم حقوقا ، ويغرض عنهم واجبات لم يكن معترف بها من قبل . بذلك بدأ الاتجاه الجديد في الحياة الاجتماعية تتبدى . ن يعتبر خيبا من المبادئ والآراء قبل تلك الحرب إلى حين التحقيق والعمل .

وهذه الحرب الحاضرة أكبر أثر في تقوية هذا الاتجاه وتعزيزه من الحرب 'مناضية' ذلك أن أسباب الاتصال والانتقال أصبحت أيسر وأعظم ، وأن الأناس شعورا باحاجة إلى التعاون فيما بينهم ليستقر في العالم عهد أخاء ورخاء وسلام وهدوء إلى أنشأ مزيد ارتباط الأمم واتصالها وسهولة التنقل فيما بينها قد جعل الأمم كمن تعنى بهذه الاتجاهات الاجتماعية ، والتي كانت تعتبر بذلك مفرحة في نظر الأمم . تضارة تعمل بهذه التسرع الخطي حتى تحقق بالأمم الأخرى في هذا المضمار ، .. ن هذا

النشاط الاجتماعى هو ملاك الرق والتقدم ، وهو الذى يرقى بها لتكون محترمة فى نظر الأمم كلها كبيرها وصغيرها ، قويا وضعيفها .

الى أى ناحية تتطلع هذه الاتجاهات الحديثة ؟ هى تتجه فى مجموعها الى تقوية ذاتية للفرد وإنسانيته ، مع المحافظة على حريته وكرامته . صحيح أن التجارب الاجتماعية دلت على أن هذه التقوية لن تصل الى التسوية بين الناس فى حظوظهم وملكاتهم . فهم يختلفون فى قواهم العقلية والروحية ، وفى مواهبهم العلمية والفنية اختلافهم فى قوتهم الجسدية . ومع هذا الاختلاف فمن خير الجمعية أن تقوى فى الفرد كل ضعف الى أقصى ما يستطيع هذا الفرد أن يصل اليه من القوة ، كما أن من خيرها أن تقوى أجسام الضعفاء ليكونوا أقوى على الإنتاج لخيرهم الفردى وللخير العام .

ووسائل تقوية الضعف كثيرة . وعلاج ناحية من نواحي الضعف يفيد الفرد ويفيد المجموع فى سائر نواحي الحياة .

ولهذا تقتصر فائدة الألعاب الرياضية مثلا على تقوية الجسم ، بل ان لها لأثرا أكبر الأثر فى تقويم الأخلاق إذا هى نظمت على نحو علمى سليم .

كذلك لا تقتصر فائدة التثقيف العام على التسلية أو على توسيع مدارك الفرد ، بل ان لها لأثرا أكبر الأثر فى توثيق ما بين الناس من أسباب التفاهم والتضامن .

والاتجاهات الاجتماعية الحديثة تأخذ بيد الفرد من أول حياته كما قدمت . ذلك لان العناية بالحضارة وبالطفولة الأولى لها أكبر الأثر فى توجيه الطفل فى مستقبل حياته . ولها كذلك أثر أى أثر على البيئة المحيطة بالعمل .

فإذا تخطى الفرد مرحلة الطفولة إلى 'الصبا' وأصبح قادرا على 'المعمل' ، كان تمكيه من العمل الذى يحسنه ، وما اوتته على المزيد من 'تقائه' ورفع ذى الموهبة الى اظهار موهبته ، مما يزيد فى إعزاز الله بنفسه ، واحترامه ذاته ، كما يزيد فى الإنتاج للخير العام .

فإذا اطمأن الفرد الى أنه متى أعسر القاعد وحده من انتمين الاجتماعى ما يجنبه شقوة العجز والمرض . كان ذلك حافزا له فى سن انتاجه على مضاعفة هذا الانتاج ، ليكون أوفر حظا من الأمن ، وأكثر طمأنينة لأيام شيخوخته أو عجزه .

أخشى أن تدعى هذه الأمثلة الى الدخول فى تفصيل ليست هذه الكلمة موضعه . فسينتاوله المحضرون من بعد فى محضراتهم كل على النحو الذى يراه .

وكل ما أريد أن أقوله أن الاتجاهات الاجتماعية الحديثة متعددة النواحي متحدة الغرض .
وغرضها في مجموعها ما قدمت من تقوية ذاتية الفرد وإنسانيته مع المحافظة على حريته
وكرامته فكل ما يؤدي الى هذا الغرض يدخل في هذه الاتجاهات ويحقق غايتها .

وانما أدى بالأمم الى هذه الاتجاهات إقتناعها بأن ثروتها الحقيقية ليست في مواردها
الطبيعية والاقتصادية ، بل في القوى التي تستغل هذه الموارد ، وفي الكفايات الانسانية
التي لا تظهر في عنوان كمالها إلا اذا عني كل فرد في صحته وفي ثنائه وفي أخلاقه فاستطاع
أن يبلغ من القوة الذاتية غاية ما تؤمله له الملكات الكينة فيه . لقد بقيت موارد الأمم
الطبيعية والاقتصادية القرون وعشرات القرون دفينه لا ينتفع أحد بثمارها ، فلما ارتقى
التحذيق بالأفراد والجماعات وقوى ذاتيتهم تصاعدت ثروة الأمم التي توجد هذه الموارد فيها
فبلغت من الحضارة ذروتها وتحققت مبادئ التصالح والمودة الاجتماعية بين أبنائها فاستفادوا
وقادوا لانسانية كلها أعظم العائدة .

أكتفى بهذه الكلمة وأكرر الشكر للجامعة الأمريكية واقدم الخاتمة العامة بها وأترك مكاني
لصديق العثماني بك . ولا أشك في أن حديثه عما يري أن يشهده العالم في العصر الجديد
من الإصلاحات الاجتماعية سيفتح آفاقا في التفكير جديدة . فهو رجل مارص الإصلاح
الاجتماعي سمين طويلا ومارسه بنجاح يجعله يتحدث عنه حديث العالم الخبير .

وأشكركم . سيداتي وسادتي لحسن استماعكم لهذه الكلمة . وأرجو لكل مخلص في العمل
لخير أمته ولخير الانسانية للتوفيق والنجاح .

دكتور

محمد حسين هيكل

كما أن شخصية الفرد هي الشرط لوجود العمل ونجاحه في حياة الحديثة ، لأنها
مناطه انتقاه به ولصلاحيته لتأليف مجموع عامل مفيد ، كذلك شخصية الأمة هي الأساس
الأول لرقبها بوصف أنها أمة . لأن شخصيتها هي أساس احترامها في عين غيرها . وجمع
حفاظها القومية وعقد عاداتها وأخلاقها . وبالجملة هو مجموع مقوماتها برصف أنها
كائن طبيعي حي مستقبل بوجوده عما عداه .

أحمد لطفي السيد باشا